الصاعقة الثالثة والثمانون: صلة الهجر لي وهجرُ الوصالِ(*)

صلةُ الهجرِ لي وهجرُ الوصالِ ... نكساني في السُّقمِ نُكسَ الهِلالِ
فغدا الجسمُ ناقصًا والذي ينـ ... ـقصُ منهُ يزيدُ في بلبالي
قفْ على الدِّمنتين بالدّوّ من ريـ ... ـا كخالٍ في وجنةٍ جنبَ خالِ(١)
بطلولٍ كأنهنّ نجومٌ ... في عراصٍ كأنهنّ ليالِ
ونؤيّ كأنهنّ عليهـ ... ـنّ خدامٌ خُرسٌ بسوقٍ خدالِ(٢)
لا تلمني فإنني أعشقُ العشـ ... ـاق فيها يا أعذلَ العذالِ
ما تريدُ النوى من الحيّةِ الذوّ ... اقِ حرّ الفلا وبردَ الظّلالِ
فهو أمضى في الروعِ من ملَكِ المو ... تِ وأسرى في ظُلمةٍ من خيالِ
ولحتفٍ في العزّ يدنو محبٌّ ... ولعمرٍ يطولُ في الذلّ قالِ
نحن ركبٌ ملحنٌ في زيٍّ ناسٍ ... فوقَ طيرٍ لها شخوصُ الجمالِ
من بناتِ الجديلِ تمشي بنا في الـ ... ـبيدِ مشيَ الأيامِ في الآجالِ(٣)
كل هوجاءَ للدياميمِ فيها ... أثرُ النارِ في سليطِ الذبالِ(٤)

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح عبدالرحمن بن المبارك الأنطاكي.
(١) الدمنة: ما تلبّد من آثار الديار. الدو: الصحراء. ريا: اسم الحبيبة.
(٢) النؤي: الحفرة حول الخباء تمنع السيل. الخدام: الخلاخيل. الحذال: الغلاظ.
(٣) الجديل: الفحل الكريم.
(٤) الدياميم: الصحاري.

عـامـداتٍ للبـدرِ والبـحـرِ والضِّـر ... غـامـةِ ابنِ المبـارك المفـضـالِ
من يـزرْهُ يزرْ سليـمـانَ في الملـ ... ـكِ جـلالًا ويوسـفًـا في الجـمـالِ
وربيـعًـا يضـاحكُ الغـيثُ فـيـه ... زهرَ الشكـرِ من رياضِ المعـالي
نفـحـتْنا منه الصـبـا بنسـيمٍ ... ردّ روحًـا في مـيِّتِ الآمـالِ
همٌّ عـبـدِ الرحـمنِ نفعُ الموالي ... وبـوارُ الأعـداءِ والأمـوالِ
أكـبـرُ العيبِ عندهُ البـخلُ والطعـ ... ـنُ عليـه التـشـبـيـهُ بالرئبـالِ
والجـراحـاتُ عندهُ نعـمـاتٌ ... سـبـقتْ قـبلَ سـيـبـه بسـؤالِ
ذا السـراجُ المنيـرُ هذا النقيُّ الـ ... ـجـيبِ هذا بـقـيـةُ الأبدالِ
فـخـذا مـاءَ رجلهِ وانضـحـا في الـ ... ـمـدْنِ تـأمـنْ بـوائقَ الزلـزالِ
وامـسـحـا ثوبَهُ البـقـيـرَ على دا ... ئكُمـا تـشـفَـيَـا من الإعـلالِ[1]
مـالئًـا منْ نوالهِ الشـرقَ والغـر ... بَ ومنْ خـوفِـه قلوبَ الرجـالِ
قـابضًـا كـفّـهُ اليـمينَ على الدنـ ... ـيـا ولوْ شـاء حـازها بالشـمـالِ
نفـسُـهُ جـيـشُـهُ وتدبيـرُهُ النصـ ... ـرُ وألحـاظُهُ الظبى والعـوالي
وله في جـمـاجمِ المالِ ضـربٌ ... وقـعُـهُ في جـمـاجمِ الأبطالِ
فـهـمْ لاتقـائه الدهرَ في يو ... مِ نـزالٍ ولـيـسَ يـوم نـزالِ
رجلٌ طيـنُـهُ منَ العنبـرِ الور ... دِ وطينُ العـبـادِ منْ صلصـالِ

(١) البقير: قميص لا أكمام له تلبسه النساء.

فـبـقـيـاتُ طينِه لاقتِ الما ءَ فـصـارتْ ركـانة في الزُّلالِ
وبقـايا وقـارِه عـافَتِ النّا س فـصارتْ ركـانةً في الجبـالِ
لستُ ممنْ يغـرّهُ حـبُّك السّلـ ـمَ وأنْ لا نرى شـهـودَ القـتـالِ
ذاك شيءٌ كـفـاكـهُ عـيشُ شانيـ ـكَ ذلـيـلًـا وقـلـةُ الأشـكـالِ
واغـتـفـارٌ لو غـيَّـرَ السُّـخطُ منهُ جـعلتْ هامُـهُمْ نعـالَ النّعـالِ
لجـيـادٍ يدخلنَ في الحـربِ أعـرا ءً ويخـرجنَ من دمٍ في جـلالِ
واسـتـعـارَ الحـديدُ لونًا وألقى لـونَـهُ في ذوائبِ الأطفـالِ
أنتَ طوراً أمـرٌ منْ ناقعِ السّمّ وطوراً أحلى منَ السلسـالِ
إنما الناسُ حـيثُ أنتَ ومـا النّا سُ بناسٍ في مـوضعٍ منكَ خـالِ